

تطالعون في هذا العدد :

« الكاتب الجوال » بقلم فراس الهكّار

« قلادة السخام » بقلم الشاعر حسان الجودي

« أمي التي ضاجعت حارس الكلام » بقلم طلال مرتضى



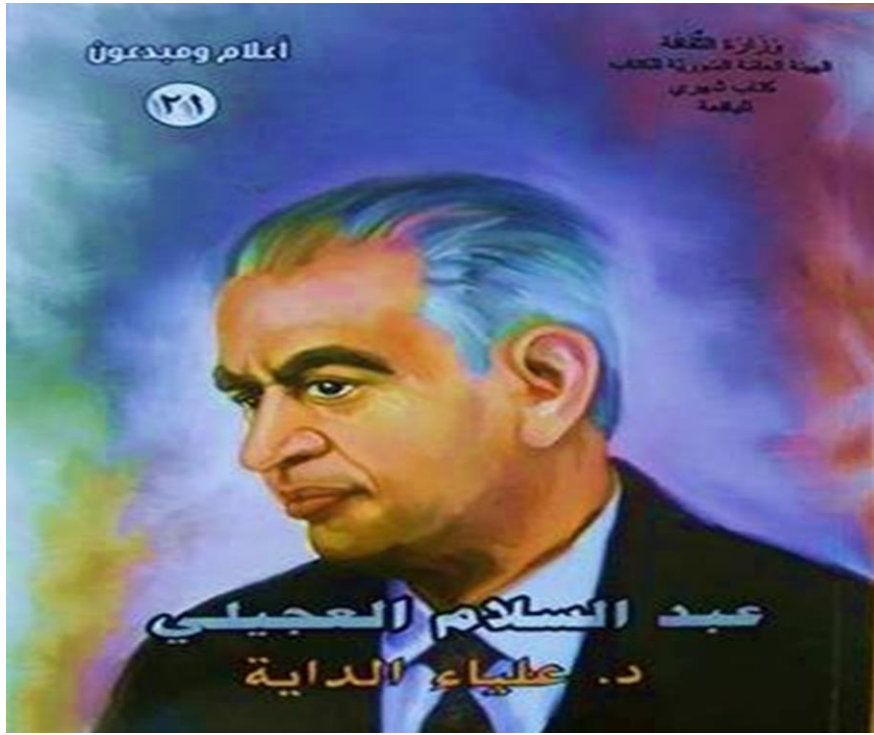
مجلة

قلم رصاص

نصف خطوة نحو الحقيقة

ثقافية شهرية متنوعة تصدر عن موقع قلم رصاص | العدد 18 آذار 2018

الهيئة العامة للكتاب في سورية تُحرف مقولة الشاعر نزار قباني عن الدكتور عبد السلام العجيلي



جوائز "كم" وأخرى "نص كم" !



من أين الرصاص ؟



ليست الحرب من شوهتنا !

توقيع رواية قمر موسى

قراءة في رواية بين بايين



وجه من سورية

النجاة حدث ممل للغاية



غنوة فضة توقع رواية «قمر موسى»



الحب خوفاً من الدخول في ركب التجارة والتلاعب وعندما وقفت أمام الورق عاجزة كتبت عن العجز والإعاقة فجاءت (قمر موسى) نفحة من زمان".

وتناقش غنوة فضة في روايتها الأولى التي تُصنف ضمن الأعمال الاجتماعية قضية هامة في المجتمع السوري ألا وهي الإعاقة والمعاناة النفسية التي تعانيها هذه الفئة المهمشة والمظلومة في مجتمع مريض ينظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة وكأنهم عالة عليه.

صدرت مؤخراً رواية «قمر موسى» عن دار الغانم للسورية لغنوة فضة /1987/. ووقعت الكاتبة باكورة أعمالها الروائية في مدينة اللاذقية.

وقالت الكاتبة قبيل افتتاح حفل التوقيع الذي أقيم على مسرح مديرية الثقافة: "في الوقت الذي تولد فيه آلاف الكلمات في كل لحظة وكل ثانية على مدار 24 ساعة وخلال أيام الأسبوع السبعة ولأن الكتابة عالمي المخفي كتبت، فهربت من عالم السياسة فقد خفت أن أدخل حرماً المقدس، هربت من الكتابة عن

قلادة السُخام

❖ حسان الجودي

مختلفاً وقلادات مختلفة. ورأيت جيراناً آخرين مختلفين عنهم بلون القبعة، وجيراناً آخرين مختلفين بطول البنطال، وآخرين مختلفين بلون الثوب. أما زوجتي، والحمد لإله الحريق، فقد وجدت كتاباً يشبه كتابي وقلادة تشبه قلادتي. ثم سمعنا جميعاً أصواتاً غريبة في الهواء المشبع بالسُخام. لقد كانت دعوة صريحة لا يمكن تجاهلها. انطلقنا جماعات وزرافات نحو مصدر الأصوات. وجدت نفسي وعائلتي، ضمن جماعة تشبهنا تماماً ترتدي نفس القلادات ونفس الثياب، فاتجهنا إلى بناء مزدحم جداً. ولاحظت انفصال جماعة كبيرة تحمل قلادات مختلفة جداً عن قلاداتنا واتجاهها نحو بناء مختلف أقل ازدحاماً. كان كل شيء يسير وفق خطة محكمة كما قال قائد جماعتي. لكن الفتى المراهق ابن أخي، صاح فجأة: لا أريد الذهاب معكم! أريد الذهاب مع تلك الجماعة الأخرى. تطلعنا بفضول إليها، كانت جماعة صغيرة لطيفة لا تحمل كتباً أو قلادات، وبيدوها كانت تسلك اتجاه مغايراً للجميع. انتفخت أوداجي وأوداج أخي وعائلتي وجماعتي غضباً وتفجرت عروق الدم في رؤوس البعض. حملوا السكاكين والهروات وانطلقوا يركضون وراء ابن أخي. أما أنا فلم أستطع القيام بحركة واحدة! لقد بلغت أظناناً من السُخام خلال ساعة واحدة. أمسكت حجراً ضخماً ورحمت أرمي به تلك الجماعة المارقة. ثم ساكتشفت أنني غبت عن الوعي بعد أن أصابني ارتفاع ضغط هائل. وأني نقلت إلى المشفى في سيارة إسعاف الجماعة، وأني قبيل الموت بقليل سأرى قلادتي الذهبية بلونها الحقيقي وهو لون السُخام الذي كان في المنزل المحترق.

تداعى إلى جميع سكان المدينة، خبر احتراق حيّ الآباء والأمهات بأكمله. وتمت الإشارة في تضاعيف الخبر، إلى احتراق مصنع حبوب منع الحمل الضخم في الضاحية، وانتقال النيران الهائلة إلى حي الآباء والأمهات، فصار أثراً بعد عين.

أسرعت أहतف زوجتي وطلبت منها إحضار الأولاد بسرعة من المدرسة، ثم التقيت بهم في طريقي إلى حي العائلي. كان الخراب مخيفاً وكان السُخام الأسود جامئاً في الهواء كأنه منذ الأزل. استطعت تمييز بيتي القديم بعد بحث قصير. طلبت من زوجتي أن تذهب للبحث عن بيت عائلتها، وحاولت طمأنيتها إلا أن الكارثة كانت جليّة، لم ينج شخص واحد من الحريق. دخلت إلى منزل والدي المحترق. كان الأثاث متفحماً وقد التوت هياكل النوافذ والأبواب بشكل مرعب.

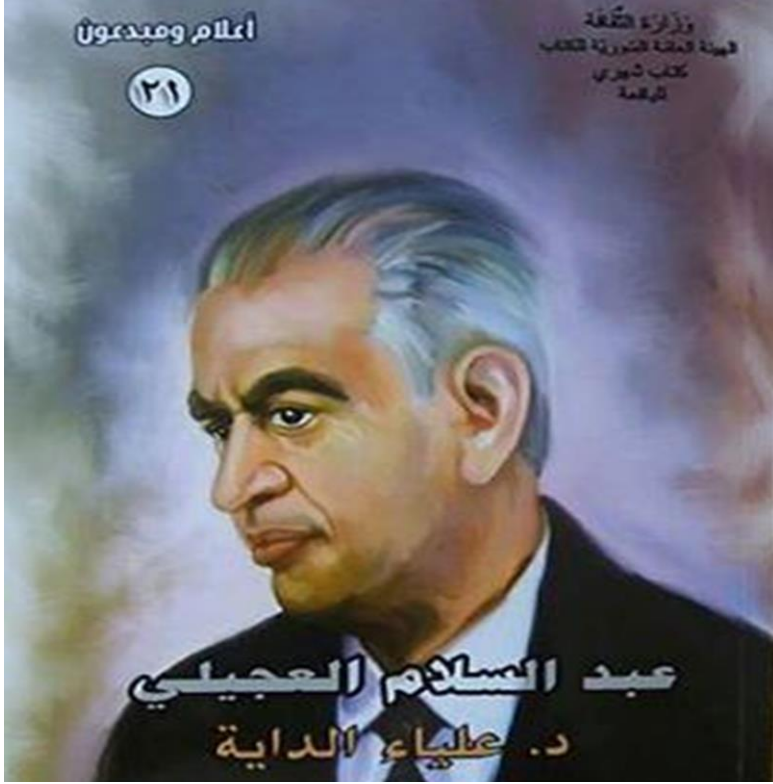
كان من العبث البحث عن جثة والدي في هذا الدمار. إلا أنني وصلت إلى بقايا غرفة نومهما، فوجدت صندوقاً أسود قرب الحائط. لقد سلم الصندوق بأعجوبة من وحش النار الجائع. رفعت غطاءه بسهولة مربية، فوجدت كتاباً ضخماً وتحتة يشع الذهب البراق. لقد كانت مجموعة قلادات ذهبية وقد نقش عليها نفس النقش الموجود على الكتاب الضخم. كانت أربع قلادات جميلة. ترجمت على والدي، وقد تركا لي هذا الإرث المجيد. حملت الكتاب المقدس بحرص، وخرجت أحمل القلادات المقدسة.

ناديت أولادي ووضعته حول أعناقهم الطرية تلك القلادات الثقيلة. ثم ذهبنا معاً للبحث عن زوجتي. فرأيت أنّ جبراني يحملون نفس الكتاب ونفس القلادات، إلا أنهم وضعوا على رؤوسهم قبعات جديدة. ورأيت جيراناً آخرين، وقد حملوا كتاباً



الهيئة العامة للكتاب في سورية تحرف مقولة الشاعر نزار قباني عن الدكتور عبد السلام العجيلي... والصحف تنسخ وتلصق!

❖ فراس الهكار



الصحف والكتب والمواقع الإلكترونية، ويحفظها أهل الأدب والثقافة من أبناء الرقة وغيرهم.

أما في الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة السورية، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، فقد حُرّف قول الشاعر نزار قباني عن العجيلي، ليكون:

(العجيلي أروع بدوي عرفته الصحراء.. وأروع صحراوي عرفته المدينة).

هذه المقولة المشوهة أوردتها الدكتورة علياء الداية في كتابها الذي أعدته لصالح وزارة الثقافة عن الأديب العجيلي، بمراجعة بسيطة للمقولة الواردة في الكتاب تتضح الركافة في الوصف الوارد، ولا يمكن أن تصدر هذه الركافة في الوصف عن شاعر كبير كالدمشقي نزار قباني.

كتبت يارا سلامة عن الكتاب الصادر في صحيفة الوطن السورية، وجعلت من مقولة نزار قباني المُحرّفة عنواناً للمقال الذي استعرضت فيه الإصدار الجديد دون الانتباه للركافة الواضحة في العبارة، فمهما

أصدرت الهيئة العامة للكتاب في سورية ضمن سلسلة أعلام ومبدعون رقم (21) كتاباً لليافعة عن الأديب الدكتور عبد السلام العجيلي، ويقدم الكتاب سيرة ذاتية للأديب الراحل ابن مدينة الرقة السورية وأيقوتها.

الكتاب الذي أعدته الدكتورة علياء الداية يتحدث عن مراحل حياة العجيلي منذ الطفولة إلى أن توفاه الله، مروراً بحياته السياسية في البرلمان وتولييه وزارات الخارجية والثقافة والإعلام في سورية ورحلته في عوالم الأدب الكتابة.

وينتظر الكتاب إلى أدب العجيلي منذ البدايات الأولى، وما نشره الراحل في القصة والمقالة والرواية والشعر وأدب الرحلات.

وقد كان الشاعر نزار قباني قد وصف العجيلي بمقولة جميلة:

(العجيلي أروع حضري عرفته البادية وأروع بدوي عرفته المدينة).

وهذه المقولة ذُكرت عشرات المرات في

عبد السلام العجيلي.. رحلة الطب والكتابة والإبداع أروع بدوي عرفته الصحراء.. وأروع صحراوي عرفته المدينة

العجيلي الرحالة

بدأت علاقة العجيلي بعالم الرحلة منذ طفولته حين كانت الأيام الخمسة تخضعه والطبيعة البهية في البادية، فقلقت إلى الجمال المحيط به، فيقول «عن حين للزهور، أنا لا أختلف عن الآخرين في ذلك، وإن كنت أفضل أن أراها على أخصائها وفي شجيراتنا هنا في الغلات. ربما يعود هذا إلى مكتسبات صياري، حين كنت أعجب بالزهور كجزء من الجمال المتكامل في الطبيعة في فترات البادية، في الربيع تكون سهول البادية التي كنت ارتادها مع «أرأبي» بسيطاً أخضر شيزر فه مساحات ملونة بالأصفر والبنفسجي وأحمر شائق المتحان، بصورة تتضاهى فيها ألوان الورود الخشبية وخضرة العشب ورقة السماء الصافية على تأليف لوحة متكاملة رائعة الجمال». لكن رحلته الأولى كانت إلى مدينة حلب بهدف الدراسة وتلقي العلم، ولم أكن تجاوزت الحادية عشرة حين انتزعت من بيتي التي عشت فيها لأبدي واتلقى دراستي الثانوية في حلب التي تبعد عن كيلومتر عن الرقة.



إسارة سلامة

ما إن تبدأ بقراءة نص أدبي لعبد السلام العجيلي، حتى تأخذ الكلمات من سطر إلى آخر، وأنت تستمتع بأسلوب الحكاية الذي يبرع فيه، ويشده به قارئه، فهو يضيف الخصوصية على الموضوع، والأهمية على الحدث، فتندمج في إحياء المكان، ويعايش ذلك زمن الأحداث والشخصيات..

وضمن سلسلة «أعلام ومبدعون» صدر حديثاً عن وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، كتاب بعنوان «عبد السلام العجيلي»، وهو كتاب شهري مخصص لليافعة من تأليف الدكتورة

أربعون كتاباً ترجم أكثرها

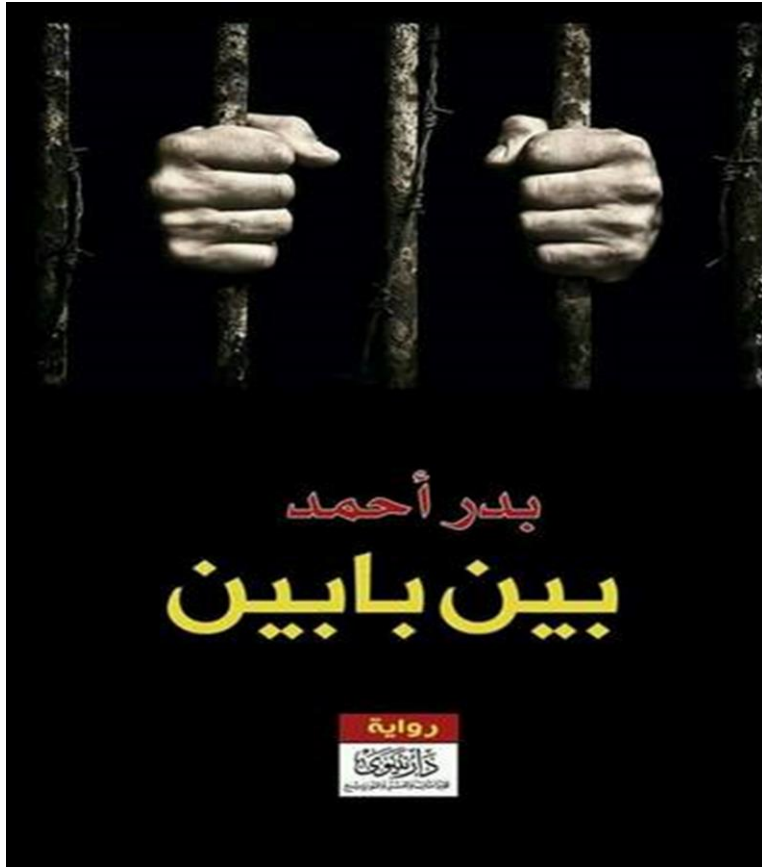
مقولة الراحل نزار قباني عن العجيلي من خلال الركافة الواضحة في الصيغة اللغوية. كانت خيارات البحث سابقاً صعبة، وتحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد وقراءة المراجع خاصة لإعداد كتاب أو حتى كتابة مقال خاصة إذا ما أراد الكاتب تدعيم مقالته بعبارات واقتباسات، أما اليوم وفي ظل توفر شبكة الانترنت صار البحث أمراً سهلاً لكل ما يُمكن أن يُخضعه الكاتب للتحريك، ويسعى للتأكد من صحته وسلامته.

وكما أسلفت عبارة قباني الصحيحة سبق أن وردت في الكثير من الصحف والمواقع ومنها صحيفة الثورة السورية وصحيفة الفرات وغيرها من المواقع، ولا يستغرق التأكد منها سوى دقيقتين عبر البحث الإلكتروني عبر الإنترنت. رغم ذلك لم يكن لدى أحد الوقت الكافي للبحث والتدقيق للتأكد من صحة القول الوارد في الكتاب.

يكن لا يُمكن أن يُوصف المتحدر من البادية أو الصحراء حتى في اللهجات العامية البديوية أو المدنية بـ«الصحراوي». وكالة سانا الرسمية قدمت الكتاب دون الانتباه للخطأ الوارد فيه، ثم تابعت جريدة تشرين السورية في ذات السياق لتُكرس الخطأ الوارد في مقالة للكاتب علي الراعي عن الكتاب، وأخيراً وصل الخطأ إلى الصحافة العربية حيث كتب الأديب السوري فيصل خرتش عن الكتاب في صحيفة البيان الإماراتية التي أوردت الخطأ كما جاء في الكتاب. ربما يقول قائل: لا يتحمل الصحفيون والكتاب الذين كتبوا عن الإصدار في الصحف والمواقع مسؤولية الخطأ الوارد في الكتاب الذي تتحملة بالدرجة الأولى مؤلفته الدكتورة علياء الداية، على مبدأ ناقل الكفر ليس بكافر، إلا أنه كان من الواجب الانتباه للخطأ الوارد في

رواية "بين بايين"؛ البحث عن الذات في خبايا الذاكرة

❖ حميد يونس



الروائي اليمني بدر أحمد

السجن والظلام الذين يعيش فيهما: "... ولربما كان للظلام الفضل الكبير في صمودي كل هذه الفترة، في ظل هذه الظروف القاسية! فالظلام يغمري لساعات طويلة من اليوم، يعقبه أوقات ضئيلة من الضوء. هذا التعاقب الرتيب غدا رياضة لذمني، ورياضة لخيالي الذي يحاول الانطلاق بكل جموحه، ليعوض عن افتقار العقل والحواس الى الدافع الاجتماعي، والمعاشية اليومية للناس والأحداث". وهكذا ما إن يفقد البطل/الذات ظلومه حتى يفقد معه عزلته وحرته ويعود وحيداً في زنزانته المفترضة: "... الضوء وضعني أمام الحقيقة المرة، التي لطالما حاولت جاهداً أن اتحاشاها، أو بمعنى أدق: اتحاشى التفكير بها. وهي أنني محجوز في زنزانة ما، في مكان وزمان مجهولين". ولا يعود بمقدرته حينذاك تحمل الزنزانة والوحدة وصراع الذاكرة،

وهنا يجدر الوقوف قليلاً والإشادة بالجهد المبذول من قبل الكاتب وتصويره المركز وثلاثي الأبعاد "لومضات الذاكرة"، إذ يحاول البطل/الذات البحث عن علاج لحالته. عن طريق تلك الومضات. ليعيد ما فقدته من هويته وذاته نفسها: "... تلك المشاهد والومضات التي تباغتني، حتى وإن كانت لذيدة بالنسبة لي، وحتى وأن كانت تولد بداخلي أملاً واهناً بإمكانية استعادة ذاكرتي، أو قد تساعدني على معرفة ما جرى لي ولماذا أنا هنا؟".

وتحمل (بين بايين) أيضاً معنى رمزياً غنياً آخر في التنقل ما بين الوحدة الجبرية والعزلة الاختيارية. ومن ثم العودة الى مربع الوحدة من جديد، ولتوضيح ما سبق نستطيع أن نستعيض بملاحظة الفيلسوفة حنا أرندت حول مفهوم الوحدة والعزلة في أن "التفكير، من منظور وجودي، هو عمل مُنْعَزَل غير أنه ليس وحيداً؛ إذ العزلة هي ذاك الوضع الإنساني الذي أبقى فيه نفسي لرفقتي. أما الوحدة فإنها تأتي حين أكون وحدي ولكن بلا أي رفقة". أي إن (الوحدة) هي رغبة في (الرفقة) دون العثور عليها. إن أرندت لم تتطلع أبداً إلى الصبغة أو إلى طلب المودة لأنها لم تكن يوماً وحيدة كل الوحدة. إن دخيلة نفسها كانت لها صديقة، ومعها كانت أرندت تستطيع أن تخوض في محادثة؛ هي ذلك الصوت الصامت الذي كان قد طرح السؤال السقراطي الحيوي: "ما الذي تعنيه حين تقول...؟" النفس؛ تقول أرندت عن النفس "هي الوحيدة التي لا يمكنك إطلاقاً أن تتعد عنها، إلا في حال توقفك عن التفكير".

وعوداً على الرواية، فإن البطل/الذات يحاول دوماً التغلب على وحدته من خلال فضاءات للتأمل المُعْزَل والعيش على ما تجود به الذاكرة ليستطيع أن يتحمل

حالما يبدأ قارئ رواية (بين بايين) للكاتب اليمني المبدع (بدر أحمد علي) حتى يستحوذ على ذهن ذلك القارئ تساؤلان كبيران، وسيرافقانه هذان التساؤلان حتى اتمامها، وهما: من بطل الرواية بالتحديد؟ وما هويته؟

ومن أجل تحفيز الذهن وإثارته حول هذين التساؤلين استخدم الكاتب ثيمة ذكية حين اتخذ من بطل الرواية شخصاً مسجوناً في زنزانة انفرادية مظلمة ويعاني من فقدان الذاكرة فلا يعرف فيها من هو؟ وما أسمه؟ وما الذي جناه؟ وما الغاية المرجوة من كل ذلك؟ وإذ يتجاوز الكاتب اسم البطل وهويته بكلّيتها مستعيضاً بتقديم "ذات" مفرغة من جميع الذكريات ومشحونة بشتى أنواع المشاعر والعواطف والصراعات الإنسانية من خلال بناء روائي قوي ومتناسك: "...ذاكرتي في حد ذاتها لا أدري ماذا أصابها! فقد ذوت تماماً، وأصبحت كورقة بيضاء، فقط ومضات من خيالات واهنة عن حياتي السابقة، تراودني بين الحين والحين". وهذه الذات تشابه بشكل كبير لما وصفها هيغل في (فينومينولوجيا الروح) بشكل "هينة هوية مستحيلة الصياغة تلاحق الواقع ملاحقة يلزمها السقوط في الخطأ على نحو منتظم، ومشكلة في الوقت نفسه حضوراً وتأثيراً ومؤثراً مع التجربة التاريخية والإنسانية". ومن خلال حيلة فقدان الذاكرة، تبدأ رحلة الرواية في بحث ذاتي سيكولوجي عن الهوية وعن السببية والغاية مما حدث وما يحدث للبطل/الذات في الزنزانة. ومع تقادم الصفحات يُفهم أن فقدان الذاكرة كان نتيجة صدمة نفسية عميقة: الطفولية المأساوية... فقد المستمر، المشاركة في حروب في شتى أصفاع الوطن العربي.

فعمل بشكل ما على الهرب مما وجد نفسه فيه، لتنتهي الرواية بمشهد درامي ومحتشد ومثير.

عمل غني وذكي جداً، إذ يعالج موضوعه الهوية والبحث عن الذات بشكل مبتكر وغير مسبوق.

■ كاتب عراقي

التخوم : سيناريو نهايات حمود الحزبجوري

❖ محمد زين الشحادة



القاعة وعندما قرئ التفقد عرف أن اسمها آمال وجن جنونه عندما حادثته غير مرة وسر سروراً عظيماً عندما طلبت منه قلماً كانت تلك المرة الأولى التي يطلب منه ذلك فالكل عاملوه على أنه راع مجرد راع، شغف حمود بالاجتماع وصار ينتظره بفارغ الصبر وتوالت اللقاءات بينهما كثيراً، باحت له بمكونات قلبها وبغها شكواه وألمه.

عقافة:

أصابع الاتهام كلها توجهت إلى حمود فالجثة اغتصبت وقطعت بوحشية وكان عليه شاء أو أبي أن يعترف غير مكره البتة الجميع قالوا إن من فعل هذا الفعل ذنب بري وليس إنساناً، لا بد أن يكون في حمضه النووي مورثات إنسان رجومي الطبع.

سرد:

عاشت آمال عذراء وماتت مغتصبة، بعض العارفين سكتوا وهم يعرفون أن رائحة إحدى المفارز كانت تنبعث من الجثة لكن أحد لم يخرج عن طور صمته مطلقاً.

خطف خلفي:

بكي حمود وندب كما يبكي اليتامى والأيتامى والثكالى بحرقه وبألم وبغير استعراض كما

إلا الفتات الذي تقاتل عليه أتباعهم. فاركض في رجومك خلف رغيف في فم كلب أبقع. المفارز تنتشر كورم خبيث حولك، فوقك، تحتك، قدامك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ومن حيث تدري ولا تدري.

يا رفيق حمود الوطن لنا جميعاً لا تنظر للريغيف الذي في فم غيرك، مساحة الوطن تمتد على مد النظر تستوعبنا، لا تحسد إخوانك الغرباء فهم إخوانك في نهاية المطاف نالوا نصيبهم وغداً يكون نصيبك وإن طال الزمن. عليك بالصبر. الصبر مر كالدقلى ولكن عليك أن تحتمل لا أحد يأخذها بالهين، هم قذفتم رجومهم ووجدوا فردوسهم المفقود هنا وغداً تجد فردوسك الفقيد إن لم يكن في هذه الدنيا ففي غيرها الله كريم وفراديسه كثيرة. اصبر يا رفيق حزبجوري فالصبر مقدم حتى على الصلاة فارع شكواك للواحد العاطي ولا تجهر بصوتك فللمفارز أذان في كل مكان.

مشهد:

في أول اجتماع حزبي في يوم قانظ كأيام الرجوم جلس حمود وجلست بجانبه على الرغم من وجود مقاعد كثيرة شاغرة في

كلاكيته: المكان مدينة على تخوم الفرات، على تخوم الحياة، الزمان كسابقه نهايته كذيل ضب بتر عن الجسد فضل يتلوى كأنه مزحور. الشخصوس كثر يختصرهم واحد والتفاصيل قليلة أبرزها حمود الحزبجوري.

مشهد:

بدأ حمود رحيله البائس نحو الشرق ينشد راحةً لطالما وجدها من يمموا وجبههم شطر الشرق، فالشرق موضع التجلي المقدس والفردوس المعوض لمن يستعيب عن فراديسه التي تلاشت في التيه.

كان الحزبجوري كتلة ضياع منبوذ بين جنة الزور الذي صار حكايات، مجرد حكايات كالحنافيش والغيلان والسعالى لا يعرف الأطفال منها وعنهما شيئاً ولا يصدقون عنها شيئاً. وروجوم تبتلع ما يطوى وما يحكى وتجتراحاكي أحياناً.

منولوج:

ها أنت يا حزبجوري تغادر مشرقاً مثل طيور رجومك الحزينة في رحلتي شتاء وصيف تفتش عن أوزار جديدة لتقضي غرقاً خلف زورك وأحترافاً في رجومك.

مشهد:

لم يألفها حمود ولم تألفه هذه المدينة الباردة كأهلها، الغربية كوجوه القاطنين بها كأنه قد استيقظ بعد ألف عام ليجد الناس قد تبدلوا وحل الغرباء من كل الأصقاع وصاروا أهل الدار، حاول أن يفهم، لم يتركوا له الفرصة فهذا البدوي المثقل بالحزن بدا شبح إنسان من غير فصيلة هكذا أحس وهكذا أرادوا له أن يشرحين يراهم.

منولوج:

من أين جاء كل هؤلاء الغرباء الذين امتصوا دم المدينة، أكلوها في الليل على موائدهم ورموها عظاماً على موائدنا الفقيرة. لقد باتوا أهل البيت وأضحيت أنا الغريب في دار لا بيت لي لا سقف يدفع حر الشمس والوظائف كلها باتت امتيازاً لهم وحدهم ولنسائهم الحسنات البيضاوات كقطع الجبن العربي.

أما أنت فلك الحزب يا حمود الحزبجوري ولم يسعفك الحزب فلم يبق من الكعك

في يوم عادي

❖ ماهر طلبية

القنابل الدخانية تسقط من حوله تضيف إلى الصورة هالة أسطورية، فيظن الراي أن زيوس يعود من غفوته ويسترد مكانه كإله للبشر من جديد طارداً باقي الآلهة إلى الجحيم أو إلى الصقيع حيث موطنهم الأصلي، سحب نظره من فوق الشاشة وضوئها واتجه إلى الحجر، الباب الموارب كشف له عريها الذي يناديه، أفرغ يده في فمه وواصل المضغ والبلع، ثم أسرع يجرجر قدميه تجاه الباب وأغلقه خلفه.

■ كاتب وقاص مصري

خرج من حجرة نومه - جلبابه الأبيض واسع زاهي، عاري الرأس من عقاله- إلى الصالة الواسعة، جرجر قدميه العاريتين حتى وصل إلى باب الثلاجة، فتحه وشرب من مائها المثلج، أغراه طبق الحلوى العاري أمامه، فملاً منه فمه، وأمسك في يده ما استطاع إمساكه، ثم أغلق الباب واتجه إلى الحجر من جديد، شد نظره على شاشة التلفاز- التي تحتل جداراً كاملاً من الصالة- أن الطفل الذي يقذف الحجارة على العسكري المدرع كان خفيف الوزن يطير كأنه ريشة، وأن



■ كاتب وقاص سوري

سارة حبيب « النجاة حدث ممل للغاية » انطباعات

❖ عاطف صقر



"ليس مجرد حفل توقيع وينفضُ الجمع"
"لم تساعدها أجهزة الصوت فأنقذها
الشعر"
"النجاة حدثٌ مملٌ للغاية" يستفزني
العنوان، كأنه يخبرك بطريقة عكسية أن
القراءة ستكون مثيرة للغاية إنها مجموعة
شعرية جديدة، ومع كل جديد يتكرر
السؤال الفني المبر الذي استل به عنتره
العبيسي معلقته: "هل غادر الشعراء من
مُردِّم؟"
هل ترك لنا الشعراء شيئاً لم يتناولوه في
شعرهم حتى يتجرأ مغامر (ة) جديد
لخوض المضمار؟

الإشارة إلى (الفاعلية والسلبية) في الحياة،
وبالتالي تشخّص قيمة الأفراد من خلال تلك
الفاعلية، والناجون في الغالب هم السلبيون
الذين ارتضوا أن يكونوا متفرجين!
لوحة الغلاف البارعة للفنان وضاح السيد.
قد يبدو الخوض في كتابة نصوص شعرية من
طراز قصيدة النثر محفوظاً بالمخاطر،
وكثيرون التبس عليهم مفهوم قصيدة النثر،
فبعضهم اعتبرها نثراً ليس إلا، وبعضهم
اعتبرها من الحدائث الشعرية، وبين هذه
وتلك تأتي المخاطرة، فشاعر - قصيدة النثر -
عليه أن ينشئ في نصوصه شاعرية خالصة،
رغم أن نصه مجردٌ من وسائل الدعم،
كالوزن والقافية والإيقاع، ومن هنا تنبع
صعوبة الكتابة في هذا الصنف الأدبي.
على النص إذاً أن يقنع القارئ أنه يحمل في
طياته روح الشعر، وروح الشعر هذه هي
بالذات ما يبحث عنه الشعراء منذ القصيدة
الأولى، رغم الاختلاف والتباين في المدارس
الشعرية من الكلاسيكية حتى ما بعد
الحدائث بمفهومها الفني، والفلسفي.
.....
في كتابها انسابت قصائد "سارة حبيب"
جامعةً للكثير من فنون الكتابة الشعرية:
نصوص بدت فطرية، غير متكلفة، من نوع

السهل الممتنع. شكلانياً اتخذت شكل
قصيدة الومضة، الفائقة التكتيف، مع
بضع مقاطع أطول قليلاً لمبررات فنية يأتي
إقناعها في سياقها، وفي الحديث عن
التكتيف سوف يلاحظ القارئ أن مقطعاً
من جملةٍ أو جملتين أو ثلاث حفل
بتضمينات ومعان غزيرة وأعماقٍ بعيدة
الغور، وأنها أي تلك النصوص لا تحتمل
التأويل فقط لكنها تبقى مفتوحة على معانٍ
معانٍ تصل حد الحكمة، وحدّ الإطلاق،
وحّد التضليل في الوقت ذاته .
إنها تزوع عن المعنى وتثبتته، وتنبتش ضده.
نلاحظ ذلك من المقاطع الأولى في المجموعة:
واحد حياة إلى الطاولة عشرة
يصرخ النادل ويشير لي
وما من رب يأخذ الطلبات.
مفردات قد يبدو تجانها منافياً للمنطق،
لكنه الشعر الذي يقرب المعادن المتنافرة:
حياة، طاولة، نادل، زبون، رب، طلبات.
ثلاث جمل، تختزل حكاية، مأساة، ملهارة:
الوقت المبعثر في جلسات المقاهي، لوجهٍ
فقد ماءه، فأشفق عليه النادل (الذي
اعتاد مشهدياته)، وطلب له الحياة، ولكن ..
أهي القدرية أم المشينة التي تبقى هؤلاء
الأموات أحياء، وهل الموت هو بالمعنى

الحرفي أم بالمعنى العبيسي حيث لا قيمة أولاً
وجود معنوياً لأحياء أموات ولا أمل منهم ولا
قدر يساعدهم؟
.....
جملتان خبريتان غير مكتملتا العناصر
حيث الخبر فيهما (أو الفعل) مضمّر،
ويحيل إلى تزامن ما أو رتابة ما، مربوطتان
ب (واو) تخلقان أيضاً فيضاً من المعاني
والدلالات، نقرأ:
العيش البطيء
والحب السريع
تلاقح بين متضادين، أحدهما (العيش)
ممل بليد لا تكتنفه المفاجآت بسبب بطئه،
والآخر (الحب) لا طعم له ولا لون ولا دهشة
(ممل أيضاً) لكن بسبب سرعته، الله!
.....
أيضاً وأيضاً نقرأ:
"الطريق اليك
حين أحوضه في رمال الفضيلة المتحركة".
هي براعة الاستعارة (رمال الفضيلة
المتحركة) فالفضيلة إذا نسبية ومتحركة
القيمة، ونسبيتها زمانية ومكانية وفكرية
وأخلاقية، وبالتالي فإن اختيار نسبيتها
خاضع لقرار صاحب العلاقة، وربما
لتفاوت قيم المجتمعات.
.....
ويحافظ التدفق الشعري على عزيمته
فنقرأ:
الشيخ الذكوري الذي يقول لامرأة ثوري
يهرب متلاشياً قبل أن تصل ذات المرأة
لحرف الباء في كلمة أحبك، نسيج ذكي،
وحل فني شعري لغوي مبتكر لحالة أنانية
الذكر في علاقته مع الأنثى، ذلك الذكر
الذي تمّظهر مثقفاً ومتفهماً للأنوثة،
وداعية لحرمتها، لكنه في لحظة بلوغه
لدته، ينتهي أنانياً غير عابئ بشريكته،
ومتنصّل من كل ما زعم أنه ينادي به.



للإنسان، وخصت الإنسان (الأثني) بنصيب كبير من التحليل والكشف والإضاءة، فامتلكت جرأة الخوض في المحرم، وجرأة التعبير عن كينونات الأثني بأحوالها المختلفة، وبخصائصها في رؤية الأشياء والأحداث على طريقها، وفي علاقتها الأمومية بالذكر - على كل الأحوال- خاضت في حاجتها إليه، وفي استغنائها عنه سواء بالحلم أو بالواقعية. برز في المجموعة أيضاً عنصر فني هام، هو التهكم بمفهومه الفلسفي (السقراطي)، ذلك التهكم المرير، الذي ينشئ من المفارقة أو من السخرية اللاذعة معنى فارقاً: أتذكر: "جثث من مختلف الألوان بلدٌ يمدّ يده بثناقل.."

يمسك ال (ريموت كونترول) يطفى التلفاز وينام.."
وبعد:

في هذه العجالة وهذا التدفق الإيحائي الذي تحيلنا له نصوص مجموعة (النجاة) حدث ممل للغاية)، أقول: إن المجموعة تحتاج لقراءات وقرارات فنية ونقدية، ومن حق الفن الحقيقي على من يمتلكون ملكة النقد والإبداع أن يقدموا قراءات جديدة تغني وتفيد في تشريح العمل. لقد قدمت الشاعرة "سارة حبيب" صوتاً شعرياً ناضجاً يمتلك أدواته، ويمتلك أيضاً رؤيته للكون والإنسان والغيب والعواطف الإنسانية الجياشة، صوت مجدد ابتعد عن النمطيات والتقليد، صوت يدرك فلسفته ويستطيع أن يقول كلمته، ويصيب هدفه، وهو إلى جانب ذلك كله (وهو الأهم) صوت يمتلك تلك المهوبة الشعرية الفنية المضيئة.

■ كاتب سوري

فلسفة العادي، واستنباط الأعماق، وتجريد الدلالات، والانتقال من الخاص إلى العام، وهي لم تتطرق مباشرة إلى ظروف الحرب، لكن إشاراتها كانت حاضرة بقوة، وكان جزءاً كبيراً من المشاعر والانفعالات والسلوكيات (الظاهرة والعميقة)، وحتى الإحساس بالعبثية، واقتناص اللحظة العابرة، والرضى بالقليل الممكن. من تأثيرات الحرب الكارثية بشكل عام.

كل ذلك بدا مباشرة (أو بشكل غير مباشر) في نصوص المجموعة، فكانت الحرب هي الخلفية المهمة القاتمة الحزينة لفضاءات القصائد، أو الخيط المستتر الذي يربطها، وكان هذه النصوص هي (بالتعميم) مرآة صادقة لحياة الناس في ظروف الحرب (مطلق حرب)، بما في ذلك الحرب على سورية ومع ذلك فقد نجحت النصوص في تجنب الخوض بالإيديولوجيات أو الانحياز لإحداها، لقد انحازت فقط

مرتبطة بحركة الكائن (أو الشيء) من عدمها.

إنها نصوص استطاعت أن تعمل على الأطراف المتعاكسة أو المتوازنة، وتمزج فنياً بين الأجناس غير المتجانسة.

وفي هذا السياق نلاحظ في كثير من المواضيع تمرداً نصياً معنوياً وفنياً على الموروث أو المسلم به، تبدى هذا التمرد بتفكيك المبي (المتشكل) أو بعثرته، وإعادة بناء المبعثر وتشكيله وفق الرؤية الجديدة التي تبناها النص، فكأنها عن عمد تلعب في تلك المنطقة الحرجة (بين بين)، جاء في السياق:

"الخمسون كتاباً التي اشتريتها

لا تعني بالضرورة حيي للروايات

يحتمل أنها تعني فراغاً عاطفياً يستنجد الحشو أو محاولة للململة رواية ذاتية من بعثرات الحكبات.."

.....

اتخذت النصوص من العادي اليومي مادة لها، وتنقلت بين المقهى والشارع والبيت وظروف الحياة، وببساطة تمكنت من

ويستمر التكتيف الأنيق:

*خانة صغيرة في بطاقة لاتعني بالضرورة أنك حتما!

*كلما رفعت يدك من بعيد تحسست مائي.

*أنا لا أرتعشُ قبالتك لأنني أحبك بل أحبكُ لأنني قبالتك أرتعش.
*بقفزةٍ عمرية واحدة يثب الوطن من طفل يتناول الأيس كريم لعجوزٍ بلا أسنان.

*أودُ -كحلٍ أخير- أن أحبلَ بك لا شيء أصلح من هذا لاحتباسك داخلي.

* لا تُسقطُ الحرب الأبقعة بقدر ما تركبها.

* كما يستبدل الحب بالحب تزاح الصداقات بالحب الطفيف والحب الطفيف بالحب الشاهق والحب الشاهق بالنسيان.

* بقدر ما أتكئ عليك بقدر ما يختل توازني..

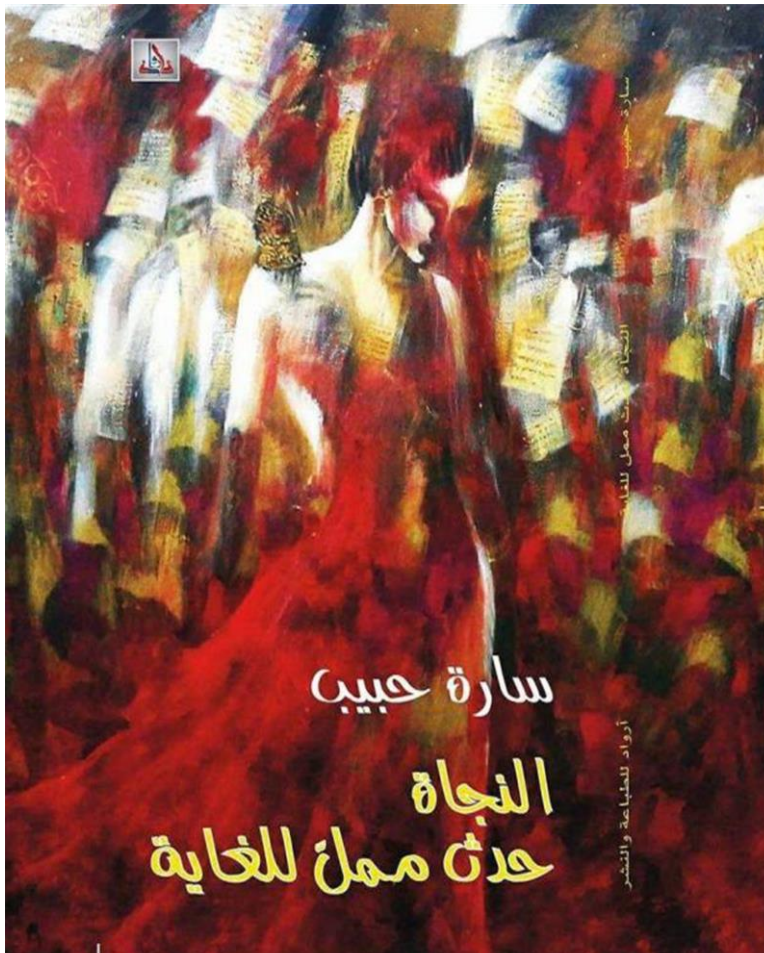
* مغمض العينين تجتاز الامتحان الذي يرسب فيه جميع الرجال بالمشابهة.

* كانت فكرة ذكية أن تُخلق للرجال أكتافٌ فلولاها ما كنا وجدنا عندهم مساحةً للاتكاء.

.....

أوردت هذه الأمثلة كنماذج، مع التأكيد على أن المقاطع التي لم أوردتها لاتقل فنيةً وأهمية عنها، لكن بالطبع لا يمكن إيرادها جميعاً.

تميزت مجموعة "سارة" إذاً بالتكتيف الشديد، وبحنكة الابتعاد عن التكلف والصنعة، فجاءت العبارات سلسلة اقتصادية اللغة، ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن البناء اللغوي في المجموعة جاء متيناً معبراً بانتقاء مفردات تصيب دلالتها مباشرة في غنى وتدفق لغوي لافت. اعتمدت النصوص أيضاً على ربط الدلالات، وحيثما احتاجت أعطت الجمادات حياة، وقطعت بجمود بعض الأحياء، فكانت فكرة الحركة والجمود مرتبطة بالفاعلية والرمز أكثر من كونها



ليست الحرب من شوهتنا !

❖ سناء علي



ولكنها نسخة جميلة... نحن المشوهون الأجل..

الضابط السوري الذي ذهب ليحاور من يقاتلهم أعزلاً من السلاح ويقول لهم: نحن أخوة، هو المشوه الأجل.

ومثله هم أبناء المدينة المصنفة عاصمة لتنظيم "داعش". الذين ساعدوا أفراد إحدى الفرق العسكرية في التخفي بزي رعاة الغنم، تجنباً لأسرهم من قبل داعش.

الشاب الذي التحق بالقتال مع المعارضة يساعد ضابطاً في الجيش على الهروب من قبضة باقي رجال الحاجز قائلاً له " اذهب من هذا الطريق يا سيدي ولا تعد إلى هنا ". هو المشوه الأجل.

ومثله ذلك الشاب الذي أتى بعائلة نازحة تنتهي لطائفة أخرى، وأسكنهم بيته في ذروة السعار الطائفي.

الشاب المقاتل في صفوف الجيش في أحد المطارات القريبة من مدينته، التي يحاصر أبنائها ذلك المطار يقول لزملائه انسحبوا و"سأعطي عليكم" ليجوب به أهله وأبناء عمومته شوارع المدينة كلها قبل قتله، هو المشوه الأجل.

ومثله هؤلاء الشبان الثلاثة في الاستوديو العسكري، الذين يدافعون عن الوطن بالبندقية، ثم يعودون ليدافعوا عن أحلامهم وحقوقهم التي يسلمهم إياها بعض شركائهم في الوطن، بالغناء والموسيقى.

الجنود الذين يعودون من مهماتهم فيحمل أحدهم كاميرا التصوير، وآخر يرسم لوحة، وآخران يعزفان أجمل الألحان الموسيقية، من قبوت تحت الأرض هم المشوهون الأجل. ليست الحرب من شوهتنا، فنحن نسخة مشوهة عما نحب أن نكون، ولكنها نسخة مشوهة جميلة.

■ مهندسة سورية

أمال لها سوى زيادة الأم النصف الآخر. وعلمونا أن الحرب على الأندلس تعتبر فتحاً إسلامياً، أما الحرب على فلسطين فهي غزو صليبي.

ثم قيل لنا أننا دولة علمانية، ولكننا نستمد معظم قوانيننا من التشريع الديني وخاصة قانون الأحوال الشخصية.. ما المشكلة إنه مجرد تبادل للخبرات. ثم قيل أننا دولة اشتراكية، لكنها تعتمد اقتصاد السوق.. الاجتماعي! لا بأس إنها مجرد خلطة من الأعشاب.

كيف لا نتشوه وكل طائفة تعلم أتباعها أنهم الأقرب إلى الله، وهم وحدهم يمتلكون حقيقة الإيمان الصحيح لذا يجب عليهم الحفاظ على السلالة النقية للطائفة الناجية، وعدم الاختلاط بالطوائف الثانية.

ثم نرى المؤمنين بالفكر الشيوعي يتحالفون مع المؤمنين بالفكر الديني! لا بأس فالمؤمنون أخوة ثم نشاهد من يعبر الدولة بأنها لم تحارب "إسرائيل"، يطلق صيحات التكبير كلما قامت هذه ال "إسرائيل" بقصف تلك الدولة!

ليمارس الفعل ذاته عندما ظن أن الأولى قد شاخت.

ثم نسمع بعض المسؤولين يشيدون بوطنية الأمهات والآباء الذين يرسلون أبناءهم للدفاع عن البلاد، بينما سافر أبنائهم إلى الخارج للدفاع عن البلاد نفسها عبر الفيسبوك والتويتر!

كيف لا نتشوه ونحن نرى من لم تتسع الدنيا لفرحه بمناسبة تعادل منتخبنا الوطني، قد قرر إرسال موفد له إلى الأخرة ليبت أخبار الفرح هناك، ومثله فعل من فقد عزيزاً، مقررراً توسيع دائرة الحزن لتشمل عائلات جديدة.

كيف لا نتشوه وأشهر مقولاتنا الشعبية المأثورة "يللي بيتجوز إمي بقلو عمي.. لا إيد يللي ما فينك عليها بوسها وادعي عليها بالكسر.. ألف أم تبيكي ولا أمي تبيكي" كيف لا نتشوه وسائق الحافلة يجبرنا في كل مرة على سماع نفس الأغنيات المفضلة لديه وينفس درجة الصوت.

نحن النسخة المشوهة عما نحب أن نكون

صالونات التجميل.

كيف لا يتشوه التلميذان اللذان تقاسما المقعد نفسه طيلة سنوات الدراسة، ولم يفترقا إلا في حصة الديانة " كل واحد إلوني بصلي عليه".

أو تلك الفتاة التي اعتبروها مسؤولة عن هبوط أسهم العائلة في البورصة الاجتماعية إذ أحببت صديقها، فيما كان أخوها سبباً لرفع أسهم العائلة ذاتها في البورصة ذاتها عندما اقترفت الجريمة ذاتها. والأخرى التي تعرضت للاغتصاب، فإذا بعائلتها تغتصب حقها في الدفاع عن نفسها درءاً للفضيحة، وإذا لجأت للقانون، يمنحها القانون غطاء للسيرة عبر زواجها من مغتصبها.

وهؤلاء الذين تعرضوا للتحرش الجنسي في طفولتهم ولم يتجرؤوا على البوح لأحد، إما لأنهم لم يفهموا ما تعرضوا له، أو لأن المتحرش كان شخصاً من العائلة أو مقرباً منها.

كيف لا يتشوه من كان يحلم أن يكون موسيقياً أو فناناً، رياضياً أو كاتباً.. ولكن أهله حلموا بالنيابة عنه أنه سيكون مهندساً أو طبيباً لا محالة.. كي تزيد أسهم العائلة في البورصة السابقة.

أو تلك الفتاة التي نالت المرتبة الأولى في دراستها الجامعية، فاقسم جميع زملائها حتى الذين لم يعرفوها أنها جميلة ولا بد، وأنها بارعة في "تطبيق الأساتذة".

وذلك الشاب المرشح لنيل وظيفة جيدة تناسب كفاءته وقدراته العلمية، فإذا بفتاة جميلة تخطف الفرصة على حين غرة، لا بأس للجمال علينا حق.

كيف لا نتشوه ونحن نرى ذلك الرجل المتحرر الذي يشجع المرأة على النضال لنيل حريتها وخاصة حرية إقامة العلاقات الجنسية، بينما يطلب من أمه أن تختار له فتاة "ما بأس تمها غير أمها" عندما يقرر الزواج. ثم نرى تلك الفتاة التي تهيم بفارس أحلامها الفقير وتقسم له بكل المقدسات أنها ستعيش معه "على الخبز والزيتونة" وعند أول فرصة مناسبة تصبح من عشاق الكافيار. كيف لا نتشوه وقد ثقبوا طيلة أذننا بأن العرب أمة واحدة تتشارك اللغة والتاريخ والأمال والألام، فإذا بنصف أمة العرب لا

"لا أريد أن أتشوه" كان ذلك رد الكاتبة رباب حيدر على دعوة طلابها للجلوس في أحد الأماكن العامة ختاماً للدورة التدريبية التي تشرف عليها في اللاذقية، "لا دخان نرجيلة، لا أغاني لنانسي وأليسا ومثيلاتهن". بدأت عملية غربة المقاهي التي تحقق شروط عدم التشوه كما تراه الكاتبة، لم يطل الأمر بنا كثيراً، فازمقى وحيد بالتركية.

كانت الجملة مثيرة للانتباه، محفزة للذاكرة، للغوص في أدق جزئيات حياتنا وأكثرها تفصيلاً.. لتظهر قائمة لا تعد من التشوهات تجلت بأوضح صورة لها في سنوات الحرب.

بدأت رحلة تشوهاتنا منذ الطفولة، مروراً بالمراهقة، ثم مرحلة الشباب، وحتى الآن لا زلنا نختبر أنواعاً جديدة منها.

كيف لا نتشوه وقد اختار لنا معظم آبائنا وأمهاتنا أسماءً تمجد آباءهم وأمهاتهم، أو رموزهم الدينية، لم يتعبوا أنفسهم كثيراً في انتقاء الأسماء كما أخبرتنا فيروز لاحقاً في إحدى أغانيها... ربما لم يكونوا كسالى كما نعتقد، ولكنهم أرادوا مساعدة الأطراف التي ستقاتل لاحقاً، في الاختيار الديني والطائفي الذي ستحدد نتيجته حياة أو موت صاحب الاسم.

ثم فرضوا الثياب الزرقاء على الأولاد والزهرية على البنات من دون تفسير واضح، حسناً ربما يكون الشفع x مصبوغاً بالزهرى، والشفع y مصبوغاً بالأزرق دون أن نعرف.

ثم منعوا الصبي من حقه في البكاء كي يستحق صفة الرجولة، أما الفتاة فعلموها أن أنوثتها تتناسب طردياً مع ضعفها!

كيف لا يتشوه ذلك الطفل الذي حذره أبوه من الكذب لأنه حرام، والكاذب يحرقه الله في النار، وفي المساء قال له الأب ذاته "إذا سألت عني فلان" فقل له أي لست موجوداً! لا مشكلة إنها ليست أكثر من كذبة بيضاء لا يعاقب عليها القانون.

أو ذلك الطفل الذي تركه أمه طوال الوقت لقنوات التلفزيون وألعاب الفيديو أو مع مربيته، لأنها عضو فاعل في إحدى الحركات النسائية التي تدافع عن حقوق المرأة وقدسية دورها، وكذلك عضو دائم لدى

معرض للتصوير الضوئي في دمشق احتفاءً بيوم المرأة العالمي

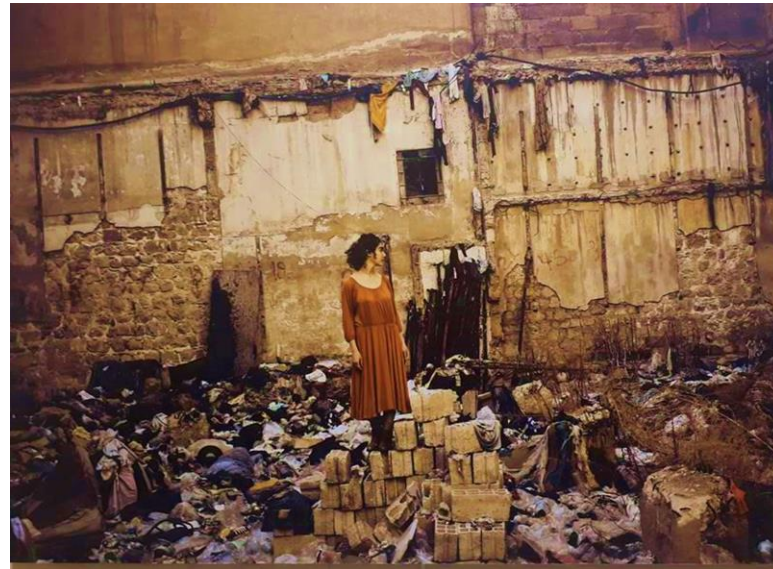


وضمت لجنة تحكيم مسابقة التصوير الضوئي كلاً من الفنانين: ريمة سلمون، يوسف عبدلكي، نصوح زغلولة وجورج كامل. "تاء مبسوطة" جمعية غير ربحية تهدف إلى تمكين المرأة ودفعها إلى سوق العمل عبر تطوير ملكاتها الإبداعية وأدواتها الفنية والثقافية.

شاركت في المعرض مجموعة من الفتيات وهن: ندى مجد (أزهار الإسفلت)، سولير أبو ضاهر (حياتها)، فريال ليابيدي (كينونة امرأة)، مرام الأحول (ذلك الزمن)، كنده دوبا (بدايات صحيحة الأخ- الأب- الزوج)، هبة أبو هيف (موت أبيض)، مريم نحلاوي (بين اليأس من الحياة والأمل بها مفتاح فامتلكيه)، تاتيانا أبو عسلي (روح)، رنا غزالة (قيامه).

تعلم أساسيات التصوير الضوئي ليأتي المعرض تعبيراً عن إرادة الحياة التي لم تنل منها الحرب التي تعيشها سورية. وتقيم الجمعية أنشطة عديدة في مجالات الثقافة والأدب والكتابة والنقد والتصوير والفن التشكيلي، حيث أسست الجمعية صالوناً أدبياً ثقافياً تديره وتشرف عليه المرأة في محاولة جادة لجعل الثقافة جزءاً من الحياة الاجتماعية وتُعيد للمرأة دورها.

أقامت جمعية "تاء مبسوطة" النسائية السورية والتي تعنى بالأمور الاجتماعية وتنمية المرأة عبر الثقافة والفن، معرضاً للتصوير الفوتوغرافي في العاصمة دمشق بمشاركة مجموعة من الفتيات السوريات. ويأتي المعرض كنتاج لورشه في التصوير الضوئي أقامتها الجمعية لعدد من المشاركات اللواتي عبرن من خلال التحاقن بالورشة العملية عن رغبتهم في



من أين الرصاصة؟

✦ لورين المحمد

بين الحياة والموت على تحويلة حمص عام 2013، ثنائية تفصلهما .. الثانية التي أبعدت طلقة القنص عن جميع الركاب، فلم تنل متاً إلا الرعب، ولكن هذا الرعب لم يكن شديد الوطأة على الجميع فالسيدة المتشحة بسواد حزين والجالسة بقربي، بدت غير مكترثة، أما على المقعدين المجاورين فلم يجلس سوى رجل سيعيني ملتصقاً بالنافذة غير مكترث بشيء.. ربما الأم وطفلها الجالسان أمامه هما الأكثر هلعاً. احتضنت الأم طفلها محاولة حمايته من أي طلقةٍ أخرى تسرقه منها.

لم يعد الرصاص مربعاً .. هنالك ما هو أشد!

فاجاني صوتها وأربكني بشدة الأسي المزوج بالإصرار وشرارة عينها تنضح غضباً وحرقة قلب.

لم يعد يهمننا سوى الخلاص من الرصاص.

حسب من وين الرصاص...

تشجعت وسألت بخجل:

- توفي أو استشهد لك أحد؟!

- استشهد!! لا أعلم رصاص الغدر يصنف تحت أي مسمى قتيله .

من قساوة ملامحها الصامدة أمام أسي

قلها هربت دمعتان عنوةً، فأصبحت عاجزة عن المواساة أو السؤال أكثر.

- العمر لك .. الله يرحمه .

- لا أريد من هذا العمر سوى وقتاً كافياً لأجد من حرمني منه...

بين صممت ونطقت بدأت الكلمات ثقيلة تخرج من بين شففتها تتحدث عن روح سكنتها ورحلت .. عن أحلامهم وأمالهم.. عن أسرة بدأت خطواتها الأولى في زمن الحرب بكثير من الحب ولكن الموت لا يحترم الحب .. بقي الحديث بين صممتٍ ودمعةٍ وغصةٍ والكثير الكثير من (مقداد)!!!!

وصلنا الاستراحة والطفل ذو العينين الرماديتين يداعبنا بنظراتٍ طفولية مليئة بالبراءة والأمل .. كان يحدق بها بتلك النظرة المليئة بالأمل .. الأمل الذي بات بعيداً عن قلبها منذ 17 ساعة...

رفضت النزول في الاستراحة .. ذهبتُ مُسرعةً أحضر القهوة .. حين عدتُ وجدتُ الطفل قد أخذ مكاني وبات يحاول الحديث إليها .. وحين حاولت والدته أخذه ، رفضت وقلت لها:

ما من مشكل سأجلس بجانب العم.. بعد إذنك عمّ ...

لم يكثر باستثنائي كأنني غير موجودة !! .. لم يكن الحزن هنا أقل وطأةً، فالعم لم يرح كل الطريق يراقب النافذة غير أبه حتى برصاصة القنص الماضية. يرن جهازه الخليوي:

" أهلاً يا عميم .. ربما ساعة من الآن خرجنا للتو من الاستراحة .. أين أخذوه الآن؟؟ ... المحكمة العسكرية!! نعم نعم يا عميم ماذا تقول.. من بيت نصر .. لاحول ولا قوة الا بالله .. وكيف هو وضعو ! ..

يا رب تتلطف به وتشفيه .. عميم .. سأخبرك حين أصل انشاء الله خير .. موكل الله .. الله معك عمي"

طلب مني أن أرشده إلى المحكمة حين نصل فأخبرته العنوان وبعد صمت طويل لم أتجرأ على كسره:

ابني حرق قلبي خيراً عم؟؟

حينها بدأ يقص حكايته...

هذا الفتى سؤد وجهي وقهرني حتى الموت ... لم أربيه هكذا ... كنتُ أحلم أن يكون ابني خيرة الناس والكل يمدحوه لا أن يذموه.

في تلك اللحظة كنت أفكر أيهما أفسى الفقدان ! أم الخذلان !!!! .. وتابع العم

وأخبرني كيف أنه أطلق النار على ضابط وحاول الفرار.

بوصولنا كانت قصة الابن الضال الذي خذل آمال والده قد شارفت على النهاية وبدأنا نتأهب للنزول، نهضتُ من مكاني وفي حين كنتُ أحضر حقيبتي كانت السيدة سوداء الملابس تساعد الرجل السيعيني على النزول ممسكةً بذراعه وحين شكرها قالت له:

الله يقويك ويفرج همك يا عم... وادع لي من الله أن يطفى حرقة قلبي.

أجابه بالمثل وكان حزنها اختلط للحظة وحين وقفت أنتظر التاكسي عرضت عليهما أن نتشارك التاكسي، وافق العم دون تردد، أما السيدة فقالت إن شقيق زوجها الشهيد قادم ليقلها.. وبلحظة ظهر وأخذها وكنت أراقبها يبتعدان .. نظرتُ إلى سيارته لأرى صورة الشهيد الملتصقة على زجاج السيارة تزف خبر استشهاده..وكم صدمت وأنا أقرأ ... ((الشهيد مقداد نصر))!!!!

شعرت بصاعقة تلفني ...

التفت إلى العم فوجدته يضع بنظراته الحزينة في دنيا أخرى وهو مستمر بالدعاء أن يشفي الله الضابط وأن يهدي ابنه ..

عدسة: مجد يوسف

وجه من سورية



أمي التي ضاجعت حارس الكلام .. أنجبت "رولا" !!..

❖ طلال مرتضى



الرسالات، لذلك كانت متيقنة في سرها المكين. ما من مريم تالية ومسيح آخر إلا دجال الحكاية..

"رولا" وحدها مضمر الحكاية من أفضها إلى توت نسوتها اليانع، بالمفيد المختصر، أمس أطفأت شمع ميلادها وأنا في البعيد..

حري بي أن أكون وقتها في دمشق، لكن دمشق هذه أمعنت في عنادها، صارت كأنثى

الاستعارة في مروية بانسة، تغار من حب الأخ لأخته، من عشق الحبيب لحبيبتة، أنا لا

أنفي عنها الجمال والهياء والوله، لكنها لم تتركنا وشأننا لحظة إلا وتسكب في مهجنا

الغاوية فتنة ياسمينها..

"أنثى الماء والحريق" قبل نومها قالت لي: أكتبها يا طلال.. أكتبها. ونامت.

ظلت الفكرة تراودني طوال ليلي البارد، حاولت جاهداً هدهدة روحها بأصابع

حريقي من تحت سر الوسادة، كانت كلما اقترب ملكك نومي ليسدل على جفوني

عباءة النوم، تخرج إلي بكامل أنوثتها، دلالتها، غنجها، فتنتها..

تدور حول سرير رغبتني في الحلم، بصراحة..

تذرف دموع الأمانى، ليس ابتهالاً.. فالسما لا تمطر الأمنيات، بل من حرقة قتل النار.

تلك المرأة كما أسلفت.. أمي..

امرأة من حبر وعطر، غاوية حد انكسار الرجال كلهم عند قدميها..

لا أنكر بأنها استكبرت يوماً وهو ما أودى بها نحو درب الضلالة، نعم.. أحب تسمية

الأشياء بمعناها ومغزها..

حين أعيأ الرجال في استمالتها، سلطوا عليها حارس المعنى، وكي يفوز برهجة

ارتعاشتها، حاول جرّها بعيداً عن دروب الشبهة التي تكتظ بها سهوب اللغة..

هناك.. وفي غيبوبة اشتعال الماء راودها فتنة البيان..

غابت طويلاً.. طويلاً عن عيون حراس الكلام، عمداً أرادت مواراة انتفاخ بطانة

ثوبها، لن ينفع لو أقسمت وقتها، بالذات والمعنى..

كيف يصدق جمهور الشعر كذبتها وهو يسمع ديب أصابع الجني تجري في أوردتها.

تلك المرأة أمي.. توأ دلفت كوة المريمية من باب اللغة العالي، جاءت لتعترف لأمين

السر، بأنها ومن دون منة شاركت حارس الكلام ليله، وخرجت من صومعته حامل

بملايين الأفكار..

الفكرة التي أكتبها اليوم (رولا) أختي، وأبي الذي ذهب توأ للبحث عن فرصة غسل هو

الآن في المنزل، وأنا في منفاي البعيد أسمع كركرة نرجيلته عن كذب وأتلمسه يجلس

بأمان تحت غيمة رمادية من الدخان، الدخان هنا كناية حضور لا مثل شاهد

عيان سمعنا صوته عبر شريط خيبتنا العاجل من قلب المعمة العامرة دوح

البلاد..

والمرأة التي دلفت "مريمية دمشق" بالفعل هي أمي، لكنها لم تأت "المريمية" لتفشي

سرّها للخادم، بل جاءت لتولم لغيابي الذي طال شمعة عودة، هي مؤمنة حد الغرق،

بأن الله في سدره منتهاه سد دروب

أمس نمت بعمق عند ضفة التعب، نمت مطمئن الخاطر بعدما أولت ليومي التالي

زاد مقال..

وضعت الفكرة تحت وسادتي بعد أن أشبعت غرور قريحتها بنهبات العطر..

هذه المرة ليست كمثيلاتهما، انتهزت على حين غفلة ذهاب بنات أفكاري إلى سهل اللغة

المثالي بالعناقيد للتزهر..

كان نمل الغواية يدغدغ مسام أصابعي، تحملي أرتال معناه بحنو وغنج إلى فتنة

مفاتيح الحروف التي لم تزل تآتأة عصافير مغزاها تغفو تحت سلطة برد المدينة

الفاصلة..

توي استفتت من رهجة الحلم الأثيم -الذي ألهبت أوار حضوره في آخر ليل الأمس أنثى

من عطر وجمر، هي الأخرى لم تسلم قياد روحها للملك النوم قبل أن تقطف من قرص

اللذة غسل معناني- وقت تلمست نداوة الضوء تغمر دفتر حساب النشوة..

كان الصباح -يشبه أبي الطاعن في سر عشق البلاد- قد شمر عن زند خيباته بعدما

قرر التزول إلى سوق الذهب ليبيع نسيج خيوطه الذهبية الأولى التي حاكها

كتفصيلات زائدة لعباءة الشمس، هكذا كان يفعل أبي في المجاز، للحظة وهو يعب

قوس (باب توما) العتيق، لم يكتثر لعبور امرأة حامل، هي الأخرى كانت تسعى في

سرورة الصباح الأولى لتدلف مثله بوابة "مريمية دمشق"..

تلك المرأة أمي.. بتخفف سافشي لكم سرها المكنون في كتب الأولين..

في ذلك الوقت لم يكن وقت الصلاة قد آن.. شيخ الأموي -وقتها- لم يزل يعيد ترتيب

حبات سبخته من جديد بعد أن كر على مسامع حاله أسماء الله الحسنى كلها، ما

أعلن منها وما بقي مثل سر مكنون داخل الصدور..

كذلك "راعي المريمية" هو الآخر كان يحسب الخسارات التي جعلت من شمع الحضور،

تعمدت فك أزرار عطرها على التوالي.. عند زر العطر الأول تهمت ارتباكات النشيد في المطالع..

عند زر الشمس.. صار النهار قاب قوسين أو اشترى من اكتمال القصيدة..

عند زر الحليب.. تكاثف مزيج الفكرة، انفتح سحب السرد على ابتهال ضفتيه الشائق

والغاوي.. عند زر الغرق العظيم.. استفاقت الحروف لتستحم برضاب الندى قبل أن

تتلمس وهي بأبهى زينتها مرآة القفلة.

■ كاتب سورى

دعوة موقع ومجلة قلم رصاص الثقافية

إلى جميع الأدباء والكتاب والصحفيين الشباب في العالم العربي تدعوكم أسرة تحرير مجلة قلم رصاص الثقافية للكتابة في الموقع الإلكتروني والمجلة الشهرية وإرسال موادكم الصحفية ومقالاتكم ونصوصكم الأدبية والإبداعية لنشرها في هذا المنبر الحر الذي غايته الثقافة والإنسان. التواصل عبر البريد الإلكتروني الخاص بالمراسلات.

مجلة قلم رصاص | نصف خطوة نحو الحقيقة . مجلة ثقافية شهرية متنوعة تصدر بجهود شخصية عن موقع قلم رصاص الثقافي

رئيس التحرير : فراس الهكار